

هـ - نزار قباني

بلقيس

(١)

شكرا لكم ..

شكرا لكم ..

فحببتي قتلت .. وصار يوسعكم أن تشربوا كأسا على روح الشهيدة ..
وقصيدتي اغتيلت .

وهل من أمة في الأرض - إلا نحن - تغتال القصيدة ؟

(٢)

بلقيس .. كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل

بلقيس .. كانت أطول النخلات في أرض العراق

كانت إذا تمشى .. ترافقها طواويس ، وتتبعها أيائل

بلقيس .. ياوجعي ، وياوجع القصيدة حين تلمسها الأنامل

هل ياترى من بعد شعرك سوف ترتفع السنابل ! ؟

يا نينوى الخضراء ..

يا غجريتي الشقراء ..

يا أمواج دجلة تلبس في الربيع بساقها أحلى الخلاخل .

(٣)

قتلوك يا بلقيس ..

أية أمة عربية تلك التي تغتال أصوات البلابل ؟

أين السمّوال . والمهلل .. والغطاريف الأرائل ؟ ؟
فقبائل أكلت قبائل
وثعالب قتلت ثعالب ..
وعناكب سحقّت عناكب ..
قسماً بعينيك اللتين إليهما تأوى ملايين الكواكب ..
سأقول ، يا قمرى ، عن العرب العجائب
فهل البطولة كذبة عربية
أم مثلنا التاريخ كاذب ؟؟

(٤)

بلقيس .. لا تتغيبي عنى ..
فإن الشمس بعدك لا تضىء
على السواحل
سأقول فى التحقيق ، أن اللص
أصبح يرتدى ثوب المقاتل ..
وأقول فى التحقيق ، أن القائد
الموهوب أصبح كالمقاول .
وأقول أن حكاية الإشعاع أسخف
نكتة قبيلت
فنحن قبيلة بين القبائل .
هذا هو التاريخ .. يابلقيس
كيف يفرق الإنسان ما بين
الحدائق .. والمزابيل ؟

(٥)

بلقيس .. أيتها الشهيدة ،

والقصيدة ، والمطهرة النقية
سبأ تفتش عن مليكتها .. فردى
للجماهير التحية ..
يا أعظم الملكات .. يا امرأة
تجسد كل أمجاد العصور السومرية
بلقيس يا عصفورتى الألى ..
ويا يقونتى الأعلى
ويا دمعاً تناثر فوق خد المجدية .
أترى ظلمتك اذ نقلتك ذات يوم
من ضفاف الأعظمية
بيروت تقتل كل يوم واحداً منا
بيروت تقتل كل يوم واحداً منا
.. وتبحث كل يوم عن ضحية
.. والموت فى فنجان قهوتنا
وفى مفتاح شققتنا ... وفى
أزهار شرفتنا .
وفى ورق الجرائد .. والحروف
الأبجدية
هانحن ، يابلقيس ، ندخل
مرة أخرى لعصر الجاهلية
هانحن ندخل فى التوحش،
والتخلف ، والبشاعة، والوضاعة ..
ندخل مرة أخرى عصور البربرية
حيث الكتابة رحلة بين الشظية .. والشظية .
حيث اغتيال فراشة فى حلقها صار القضية ..

(٦)

هل تعرفون حبيبتى بلقيس ؟
فهى أهم ماكتبوه فى كتب الغرام
كانت مزيجا رائعا .. بين القطيفة والرخام
كان البنفسج بين عينيها ينام
.. ولا ينام

بلقيس .. يعطرا بذاكرتى .
وياقبرا يسافر فى الغمام
قتلوك فى بيروت مثل أى غزاة .
من بعد ماقتلوا الكلام .
بلقيس .. ليست هذه مرثية
لكن .. على العرب السلام .

(٧)

بلقيس .. مشتاقون .. مشتاقون .. مشتاقون ..
والبيت الصغير يسائل عن
أميرته المعطرة الذبول
نصفى إلى الأخيار .. والأخبار
غامضة . ولا تروى فضول
بلقيس .. مذبحون حتى العظم :
والأولاد لا يدرون مايجرى ولا
أدرى أنا ماذا أقول ؟؟
هل تقرعين الباب بعد دقائق
هل تخلعين المعطف الشتوى
هل تأتين باسمه . وناصرة

ومشرقة كأزهار الحقول ؟

(٨)

بلقيس ..

إن زروعك الخضراء ما زالت على الحيطان باكية ..

ووجهك لم يزل متنقلا بين المرايا والستائر

حتى سيجارتك التي اشعلتها لم تنطفئ

ودخانها ما زال يرفض أن يسافر

بلقيس .. مطعونون .. مطعونون فى الأعماق

والأحداق يسكنها الذهول

بلقيس .. كيف أخذت أيامى ، وأحلامى ، وألغيت الحدائق والفصول ؟

يا زوجتى .. وحبيبتى . وقصيدتى .. وضياء عيني

قد كنت عصفورى الجميل .. فكيف هربت يا بلقيس منى ؟

(٩)

بلقيس ..

هذا موعد الشاي العراقى المعطر .. والمعشق كالسلافة

فمن الذى سيوزع الأقداح .. أيتها الزرافة

ومن الذى سيقبل الأولاد عند رجوعهم

ومن الذى نقل الفرات لبيتنا

ورود دجلة والرصافة ..

بلقيس .. إن الحزن يثقبنى ..

ويبروت التى قتلتك .. لا تدري جريمتها

ويبروت التى عشقتك تجهل أنها قتلت عشقيتها ..

وأطفأت القمر ..

(١٠)

بلقيس .. بلقيس .. يا بلقيس

كل غمامة تبكى عليك .. فمن ترى يبكى عليا ؟

بلقيس .. كيف رحلت صامتة ، ولم تضعى يديك على يديا ؟؟

بلقيس .. كيف تركتنا فى الريح ، نرجف مثل أوراق الشجر

وتركتنا - نحن الثلاثة - ضائعين كريشة تحت المطر

أتراك مافكرت بي ؟

وأنا الذى يحتاج حبك .. مثل " زينب " أو " عمر "

(١١)

بلقيس .. ياكزرا خرافيا .. ويارمحا عراقيا . وغابة خيرزان

يامن تحديث الغيوم ترفعا ..

من أين جئت بكل هذا العنفوان ؟

بلقيس .. أيتها الصديقة ، والزقيقة ، والرقيقة مثل زهرة

أقحوان

ضاقنا بنا بيروت ..

ضاق البحر ..

ضاق بنا المكان

بلقيس : ماأنت التى تتكررين

فما لبلقيس اثنتان ..

(١٢)

يلقيس

تذبحنى التفاصيل الصغيرة فى علاقتنا ، وتجلدننى الدقائق والثوانى ..

فلكل دبوس صغير .. قصة

ولكل عقد من عقودك قصتان ..
حتى ملاقط شعرك الذهبي ، تغمرنى كعادتها بأمطار الحنان
ويعرش الصوت العراقي الجميل ، على الستائر ، والمقاعد والأواني ..
ومن المرايا تطلعين ..
من الخواتم تطلعين
من القصيدة تطلعين ..
من الشموع ، من الكؤوس ، من النبيذ الأرجواني .
بلقيس .. يا بلقيس .. لو تدرين ما وقع المكان ..
فى كل ركن أنت حائمة كعصفور .. وعابقة كغاية بيلسان
فهناك كنت تدخنين ..
فهناك كنت تطالعين ..
هناك كنت كنتخلة تتمشطين ..
وتدخلين على الضيوف ، كائك السيف اليماني .
بلقيس أين زجاجة " الفيرلان " والولاعة الزرقاء ..
أين سيجارة ال " كنت " التي ما فارقت شفقتك ..
أين " الهاشمى " مغنياً فوق القوام المهرجان ..
تتذكر الأمشاط ماضيها ، فيكرج دمعها
هل ياترى الأمشاط من أشواقها أيضا تعانى .. ؟
بلقيس .. . صعب أن أهاجر من دمي .. .
وأنا المحاصر بين أسنة اللهب . وبين أسنة الدخان ..

(١٣)

بلقيس أيتها الأميرة
ها أنت تحترقين فى حرب العشيرة .. والعشيرة
ماذا ساكتب عن رحيل مليكتي ؟
إن الكلام فضيحتي ..

هانحن نبحث بين أكوام الضحايا
عن نجمة سقطت .. وعن جسد تناثر كالمرايا ..

هانحن نسأل يا حبيبة

إن كان هذا القبر قبرك أنت ..

أم قبر العروبة ؟؟

(١٤)

بلقيس :

ياصفصافة أرخت صفانها على .. ويازرافة كبرياء

بلقيس :

إن قضاةنا العربي أن يفتالنا عرب ..

وياكل لحمنا عرب ..

ويبقر بطننا عرب ..

ويفتح قبرنا عرب ..

فكيف نفر من هذا القضاء ؟

فالخنجر العربي ليس يقيم فرقا ..

بين أعناق الرجال .. وبين أعناق النساء

بلقيس : إن هم فجروك .. فعندنا

كل الجنائز تبتدى في كربلاء

وتنتهى في كربلاء ..

(١٥)

لن أقرأ التاريخ يعد اليوم ..

إن أصابعى اشتعلت .. وأثوابى تغطيها الدماء ..

هانحن ننخل عصرنا الحجري ..

نرجع كل يوم ، ألف عام للوراء ..

(١٦)

البحر فى بيروت .. بعد رحيل عينيك استقال
والشعر يسأل عن قصيدته التى لم تكتمل كلماتها ..
ولا أحد يجيب على السؤال ..
الحنن يابلقيس ، يعصر مهجتى كالبرتقالة
الآن أعرف مأزق الكلمات ..
أعرف ورطة اللغة المحائة ..
وأنا الذى اخترع الرسائل ..
لست أدرى كيف ابتدئ الرسالة

(١٧)

السيف يدخل لحم خاصرتى .. وخاصرة العبارة
كل الحضارة أنت يابلقيس ، والأنثى حضارة
بليقيس : أنت بشارتى الكبرى ، فمن سرق البشارة ؟
أنت الكتابة قبلما كانت كتابة
أنت الجزيرة والمنارة ..

(١٨)

بليقيس : يا قمرى الذى طمروه ما بين الحجارة ..
الآن ترتفع الستارة ..
الآن ترتفع الستارة ..
سأقول فى التحقيق ، إنى أعرف الأسماء .. والأشياء ..
والسجناء .. والشهداء .. والفقراء .. والمستضعفين
وأقول : إنى أعرف السيف قاتل زوجتى ..
ووجوه كل المخبرين ..

وأقول : إن عفافنا عهر .. وتقوانا قذارة ..

وأقول أن نضالنا كذب ..

وأن لا فرق ما بين السياسة والدعارة ..

وسأقول فى التحقيق أنى قد عرفت القاتلين ..

وأقول إن زماننا العربى مختص بذيح الياسمين ..

ويقتل كل الأنبياء .. ويقتل كل المرسلين ..

(١٩)

(١٩)

حتى العيون الخضير .. يأكلها العرب ..

حتى الضفائر .. والخواتم .. والأسنان .. والمرايا .. واليعب ..

حتى النجوم تخاف من وطنى .. ولا أدرى السبب ..

حتى الطيور تفر من وطنى .. ولا أدرى السبب ..

حتى الكواكب .. والمراكب .. والسحب ..

حتى الدفاتر .. والكتب ..

وجميع أشياء الجمال .. جميعها عند العرب ..

(٢٠)

(٢٠)

لما تناثر جسمك الضئولى ، يابلقيس ، لؤلؤة كريمة ..

فكرت : هل قتل النساء هواية عربية ..

أم أننا فى الأصل محترفو جريمة ؟

(٢١)

(٢١)

بلقيس : يا فرسى الجميلة .. إننى

من كل تاريخى خجول

هذى بلاد يقتلون بها الخيول ..

هذى بلاد يقتلون بها الخيول ..

(٢٢)

من يوم أن نحروك ، يا بلقيس ، يا أحلى وطن .
لا يعرف الإنسان كيف يعيش في هذا الوطن ..
لا يعرف الإنسان كيف يموت في هذا الوطن ..

(٢٣)

مازلت أدفع من دمي أعلى جزاء
كي أسعد الدنيا .. ولكن السماء
شاعت بأن أبقى وحيدا مثل أوراق الشتاء
هل يولد الشعراء من رحم الشقاء
وهل القصيدة طعنة في القلب .. ليس لها شفاء
أم أنتى وحدى الذى عيناه تختصران تاريخ البكاء ؟

(٢٤)

سأقول فى التحقيق
كيف غزالتى ماتت بسيف أبى لهب
كل اللصوص من الخليج إلى المحيط ...
يدمرون .. ويحرقون .. وينهبون .. ويرتشون ..
ويعتدون على النساء كما يريد أبو لهب .
كل الكلاب موظفون .. ويأكلون . ويسكرون .
على حساب أبى لهب ..

(٢٥)

لا قمحة فى الأرض تثبت بون رأى أبى لهب
لا طفل يولد عندنا ..

إلا وزارت أمه يوما فراش أبي لهب
لا سجن يفتح دون رأى أبي لهب
لا رأس يقطع دون أمر أبي لهب

(٢٦)

سأقول فى التحقيق ، كيف أميرتى اغتصبت ..
وكيف تقاسموا فيروز عينيها .. وخاتم عرسها
وأقول كيف تخاطفوا الشعر الذى يجرى كأنهار الذهب
سأقول فى التحقيق كيف سطوا على آيات مصحفها الشريف ..
وأضرموا فيه اللهب ..
سأقول كيف استنزفوا دمها ..
وكيف استملكوا فمها ..
فما تركوا به وردا .. ولا تركوا غنبا ..
هل موت بلقيس هو النصر الوحيد بكل تاريخ العرب ..

(٢٧)

بلقيس يامعشوقتى حتى الثمالة ..
الأنبياء الكاذبون .. يقرفصون ، ويركبون على الشعوب
ولا رسالة
لو أنهم حملوا إلينا من فلسطين الحزينة ، نجمة .. أو برتقالة
أو أنهم حملوا إلينا من شواطئ غزة
حجراً صغيراً .. أو محارة
لو أنهم من ربيع قرن حبروا زيتونة ..
أو أرجعوا ليمونة ..
ومحوا عن التاريخ عاره ..
لشكرت من قتلوك ، يا بلقيس

يامعيبوتى حتى الثمالة ..
لكنهم تركوا فلسطينا .. ليقتالوا غزاة ..

(٢٨)

ماذا يقول الشعر ، يابلقيس ، فى هذا الزمان ؟
ماذا يقول الشعر فى العصر الشعوبى ، المجوسى ، الجبان ؟
والعالم العربى .. مسحوق .. ومقموع .. ومقطوع اللسان ..
نحن الجريمة فى تفوقها .. فما " العقد الفريد " .. وما
" الأغانى " ؟

أخنوك أيتها الحبيبة من يدى ..
أخنوا القصيدة من فمى ..
أخنوا الكتابة .. والقراءة .. والطفولة ، والأمانى ..
بليقيس .. يابلقيس ..
يادمعا ينقط فوق أهداف الكمان ..
علمت من قتلوك أسرار الهوى ..
لكنهم .. قبل انتهاء الشوط .. قد قتلوا حصانى ..

(٢٩)

بليقيس ..
أسناك السماح ، فريما
كانت حياتك فدية لحياتى
إنى لأعرف جيداً
أن الذين تورطوا فى القتل ، كان مرادهم
أن يقتلوا كلماتى !!!

(٣٠)

نامى بحفظ الله ، أيتها الجميلة ..
فالشعر بعدك مستحيل .. والأنوثة مستحيلة
ستظل أجيال من الأطفال تسأل عن ضفائرك الطويلة
وتظل أجيال من العشاق تقرأ عنك .. أيتها المعلمة الأصبلة
وسيعرف الأعراب يوماً ..
أنهم قتلوا الرسالة ..

لنزار قباني عدد من دواوين الشعر الحديث منذ أوائل الخمسينات ، جمعت
في ثلاث مجلدات صدرت عن منشورات نزار قباني منذ عامين ومن أشهر أعماله :
ساميا ، طفولة نهد ، قالت لي السمراء ، هوامش على دفتر النكسة ، الخ . . . وقد
كتب هذه القصيدة في رثاء زوجته بلقيس التي لقيت حتفها في حادث نسف السفارة
العراقية في بيروت وذلك عام ١٩٨٢ . وقد نشرت القصيدة في مصر بجريدة
الجمهورية القاهرية في ١١ من فبراير ١٩٨٢ .

تجربة نقدية ٥ :

"نزار قباني" إسم كبير فى عالم الشعر الحديث . يتربع على القمة منذ مايقرب من نصف قرن . كان صوتاً مرموقاً فى الستينات الأولى ومنذ أواخر الأربعينات .. شهر بالأداء التعبيري المازج بين السياسة والجنس .. ملحاً على تعرية كل الحقائق المتصلة بالمحورين . وهو خارج دائرة المنافسة ولهذا لم يحصل على جائزة من أى نوع ومن أى مكان . وهو جدير بكثير من احتفاليات التكريم على كافة الأصعدة . فهو شاعر يقطر فنا . وهو شاعر يتعامل مع أوراقه تعامل مقتدر عالم بأسرار "الحرفة" حتى أضحي "شاعراً محترفاً" . والاحتراف مشفوع بالقدرة والتمكن والموهبة والإمكانية ، والأستاذية .

أهم مزية فى شعر نزار القدرة على التعامل مع المفرد العادى وتحويله إلى "صيغة شاعرة" رغم "عاديته" وربما "تقريريته" نلاحظ ذلك فى مفردات نواوينه ساميا . طفولة نهد" . قالت لى السمراء . هوامش على دفتر النكسة . وغيرها التى جمعها فى ثلاث مجلدات تحمل عنوان "ديوان نزار قباني" صدر عن دار نشر نزار قباني أيضاً . هذا بالإضافة إلى كتابته النظرية فى "الشعر قنديل أخضر" . حتى آخر نواوينه المعلن عنها اليوم (١٩٩١/١٢/١) والذى حمل عنوان "هل تسمعين صهيل أحزاني" . هذا فضلاً عما أعاد نشره باسم "قصيدة مايا" . ووصفها بأنها "صيغة تشكيلية راقية حولنا فيها الحروف الأبجدية إلى لعبة ألوان" :

الركبة للمساء .. والشفة الغليظة / والسراويل الطويلة والقصيرة .. / إنى تعبت من التفاصيل الصغيرة .. / ومن الخطوط المستقيمة .. والخطوط المستديرة .. / وتعبت من هذا النفير العسكرى . / إلى مطارحة الغرام .

"وبلقيس" فى تصورى هى أروع ماتلقينا من قريحة الشعر العربى المعاصر (نشرت فبراير ١٩٨٢) وهى من نماذج شعر رثاء الزوجة ولنا فيه تجارب فى شعر جرير مثلاً من القدماء . وعبد الرحمن صدقى وعزيز أباظة من المحدثين .

وهي منقسمة كما أراد الشاعر إلى ثلاثين مقطوعة .. تتراوح أبيات كل منها وفقاً لمقاطع الشعر الجديد المستخدم للتفعيل الواحدة . إلى ما بين ثلاثة أبيات وستة وعشرين بيتاً على هذا النحو :

المحور	الأبيات	المحتوى	بلقيس (عدد تردد الاسم في المقطع)
المقطع الأول	خمس أبيات	تلخيص الحدث	١
،، الثاني	ثمانية أبيات	من هي	٣
،، الثالث	عشرة أبيات	القاتل	١
،، الرابع	ثلاثة عشر بيتاً	مناجاة الزوج المفجوع	٢
،، الخامس	سنة وعشرون بيتاً	تكلمة لا بد منها	٣
،، السادس	أحد عشر بيتاً	خطاب . مناجاة	٣
،، السابع	اثنا عشر بيتاً	البيت والأولاد	٢
،، الثامن	عشرة أبيات	بقاياها الصغيرة	٤
،، التاسع	عشرة أبيات	ذكرى	٢
،، العاشر	سبعة أبيات	أسرة تفتقدها	٥
،، الحادي عشر	عشرة أبيات	صفاتها	٤
،، الثاني عشر	ثلاثة وعشرون بيتاً	التفاصيل الصغيرة في العلاقة	٥
،، الثالث عشر	تسعة أبيات	بلقيس/العروية	١
،، الرابع عشر	ثلاثة عشر بيتاً	العرب/كربلاء	٣
،، الخامس عشر	أربعة أبيات	العصر الحجري	-
،، السادس عشر	ثمانية أبيات	العجز عن التعبير	١
،، السابع عشر	خمس أبيات	تكلمة	١
،، الثامن عشر	ثلاثة عشر بيتاً	القاتل/ الضحية	١
،، التاسع عشر	سبعة أبيات	القاتل / الفعل	-
،، العشرون	ثلاثة أبيات	القاتل / الاحتراف	١

المحور	الآبيات	المحتوى	بليقيس (عدد تردد الاسم في المقطع)
المقطع الحادى والعشرون	أربعة أبيات	الضحية/التاريخ	١
.. الثانى والعشرون	ثلاثة أبيات	الوطن/الضحية	١
.. الثالث والعشرون	ستة أبيات	الضحية/الغداء	-
.. الرابع والعشرون	سبعة أبيات	القاتل/الدلالة	-
.. الخامس والعشرون	خمسة أبيات	القاتل	-
.. السادس والعشرون	تسعة أبيات	القاتل/الحدث	١
.. السابع والعشرون	اثنا عشر بيتاً	القيمة/الحدث	٢
.. الثامن والعشرون	اثنا عشر بيتاً	الرفض /الهزيمة	٣
.. التاسع والعشرون	ستة أبيات	مناجاة	١
.. الثلاثون	ستة أبيات	رسالة/ختم	-

وقد تكشف المحاولة السابقة نوعاً من التوافق بين الشكل والمضمون عندما نقارن بين حجم المقطع وفكرته الرئيسية . ثم التوافق بين عناصر المضمون المختلفة . فى : هى - الضحية - القاتل - التاريخ - ومنها تتبثق عدة وحدات : شخصية . عامة .

الشخصية : مناجاة - البيت الأبناء - التفاصيل الصغيرة - الضحية
العامة : العروية - القاتل - الاحتراف - التاريخ - الرفض - الهزيمة .

وعندما تمتزج "الشخصية" بـ"العامة" تحاول العناصر المكونة أن تتوافق رأسياً وأفقياً فى محاور عدة تكشف عنها بنيات النص رغم إلاحية "الوحدة المحور" بـ"بليقيس" فى أسلوب النداء .

وبليقيس : كانت أجمل الملكات فى تاريخ بابل .

كانت أطول النخلات فى أرض العراق .

شهداء .

تلبس في الربيع بساقها أحلى الخلاخل.

لها صوت البلابل - كانت مزيجاً رائعاً .. بين القطيفة والرخام .

ولهذا فقد تردد اسم بلقيس نيف وخمسين مرة في القصيدة من عنوانها حتى النهاية .. فضلاً عن العنوان . ومن الواضح أن القصيدة قد اشتملت على تفاصيل الشخصية من الداخِل الأنوثة والذيف وحركة الزوجة والأم داخل البيت .

ومن الغريب أن يمزج "نزان" بين الأسى الغامر المسيطر على النص وبين مشاعر الأنوثة في بلقيس وصفاتها الجذابة . فنحن نجد مفردات : الساق . والخلاخل . العينين . قمرى . يامرأة . كانت مزيجاً بين القطيفة والرخام . كانت عطراً . معطرة الذبول . كنز خرافى . ربح عراقى . الشعر الذهبى . عابقة . تمشيطين . الضفائر . لحمنا . بطننا . الأنثى . عافنا . العيون . الخضر . فيروز عينيها . غزاله .

وهي مفردات صاغت من بلقيس أنثى محددة الملامح واضحة التكوين : الطول الفارع بدون امتلاء فهي غزالة أو زرافة أو نخلة أو هي سيف يمانى ممشوقة شقراء خضراء العينين ناعمة ملمس جلدها بين القطيفة والرخام . تضع خلاخل في ساقها وعقوداً وأقراطاً وديبايس شعر تدخن وتوزع الشاي على الأفراد . أفراد الأسرة . ذات عنقوان وحيوية قوية ذات صوت عراقى منعمة مرفهة تدخن سجاثر الكنت وتستخدم "الفرلان" من عطور الزينة . وهي عجربة شقراء .

هذا بالإضافة إلى صورتها التشبيهية وحركاتها وماقدمه من صور كثيرة تجعل قتلها جريمة إنسانية بشعة . ومع هذه المفردات الأنثوية نفاجاً بمعجم لغوى آخر :

قتلت . اغتيلت . وجعى . ثعالب . عناكب . كاذب . اللص . المزابل . الموت . التوحش . التخلف . البشاعة . الوضاعة . البربرية . ضاق . تذبضى . تجلدى .

اللهيب . الدخان . الضحايا . جسد تناثر . الجناز . الدماء . السجناء . الشهداء .
الفقراء . المستضعفين . السياف . عهد . قذارة . دعاة . جريمة . نحروك . الشقاء
يدمرون . يحرقون . ينهبون . يرتشون . الكلاب . سجن . اغتصبت . أضرموا .
اللهب . استنزفوا دماها . الجبان . مسحوق . مقموع . مقطوع اللسان . القتل .

هل يمكن أن يلتقى المحوران في الدائرتين اللغويتين السابقتين .. هناك عدة
محاور يمكن أن تكشف والدليل على صحة هذا أن القصيدة رغم تناثرية أفكارها ،
وتكرارية معانيها أحياناً . تمثل وحدة شعرية بنائية واحدة . مرتبطة بفعل في
الزمان وفعل في المكان وأشخاص بينهم علاقات على خطين متوازيين . أحدهما
مرتبط بالدائرة اللغوية الأولى بلقيس / الأب والأولاد وزينب وعمر . والثاني مرتبط
بالدائرة اللغوية الثانية بلقيس/القتلة .

ولقد حاولت أبحث وراء المعاني التحتية غير الظاهرة فلم أوفق في الكشف
عنها ربما لأنها غير موجودة .. ذلك أن الشاعر لم يجد ضرورة للترميز ، وأعطته
الفيجعة في توجه القوة والمبرر لكي يقول مايجد ألا مبرر لأخفائه عمداً أو قسراً .
ومن هنا جاءت كافة المعاني مباشرة ومفجئة .. فضلاً عن تراكيبها الأسلوبية المتفوقة
في الأداء مستخدماً عدداً من الأساليب .

هذا يسوق إلى محاور الشكل البنائي : فضلاً عن محور اللغة المستخدمة
وهي لغة أكثر عصرية وحدائة مما ينبغي اعتمد على صيغ عدة وأساليب متباينة ..
أظهرها أسلوب الاستفهام الاستنكاري يبدأ من الفقرة الأولى : وهل من أمة في
الأرض - إلا نحن - تغتال القصيدة ؟ .

وهو تساؤل تكرر حوالي عشرين مرة في المقاطع الثلاثين . فلم يكد يخلو
مقطع من أسلوب استفهامي استنكاري أو نحوه .

ولقد تردد أسلوب النداء كثيراً . يائينوى . ياغجريتى . ياأمواج . أيتها
الشهيدة . يا أعظم الملكات . يا امرأة . يا عصفورتى . يا أيقونتى . يا دمماً . يا عطراً .
يا قبراً . يا زوجتى . يا كنزاً . يا رماً . أيتها الصديقة . يا بلقيس . يا صفاة .
يا زافة . يا قمرى . يا فرسى .

كما تردد أسلوب التقرير من مثل : "فحبيبتى قتلت .. وصار بوسعكم أن
تشرّبوا كأساً على روح الشهيدة .."
"فقبائل أكلت قبائل . وثعالب قتلت ثعالب . وعناكب سحقته عناكب .."
"سأقول فى التحقيق ، أن اللص أصبح يرتدى ثوب المقاتل .."

وهذا أسلوب يتكرر كثيراً وخاصة بعد أسلوب الاستفهام الاستنكارى . وهى
كما يبدو محاولة للإجابة بصور تراكييبية لاتشمل الواقع بقدر ماتصوره . ولاتحاكيه
بقدر ماتعلق على سلوكه وحركة حياته المرة .

"والرؤية " كما يتبين "رؤية مركبة" مزيج من تجربة ذاتية مرة . وتجربة
جماعية أكثر مرارة . مزيج من التركيب الأنوى الحاد ، والأخرى الجامع . وهذا كله
متفجر من اللحظة الفاجعة . وهى سقوط "بلقيس" زوجته أثناء تواجدها بمبنى
السفارة العراقية ببيروت أثناء عمل من أعمال الإرهاب الذى تعرضت له لبنان
العربية .

"والتركيب الرؤيوى" يلتحم فى كثير من الشعر الحديث "بالتركيب البنائى" .
بمعنى أن الشكل أصبح فى كثير من الأعمال الإبداعية ضرورة مضمونية . على
أساس أن هذا "التركيب الرؤيوى" هو الذى فرض خاصية الإبداع فى القصيدة
وتناويع أساليبها . ولا يمكن أن تكون لدى الشاعر قدرة على تحويل هذا التركيب إلى
بناء روائى أو قصصى . إذ أن المناسبة له تماما والمتكاتف معه هو التركيب الشكلى
البنائى الذى اختاره له فلا يصلح تركيب آخر من نوع أدبى آخر . رواية / مسرح /

قصة قصيرة / مقال كى يؤدي الوظيفة التى أداها الشكل الشعرى البنائى فى توافقه والتحامه بالشكل البنائى الرويوى .

والمقطع شكلاً يتبع أحياناً نظام الشعر العمودى ولكن موزعاً . فى المقطع الأول :

شكراً لكم ..
فحبيبتى قتلت .. وصار بوسعكم أن تشرّبوا كأساً على روح الشهيدة ..
وقصيدتى اغتيلت .. وهل من أمة فى الأرض إلا نحن تغتال القصيدة ؟

فمنذ الوهلة الأولى نحن أمام بيتى شعر مكتملى التقسيم الأداى التفعيلى .. ونحن نستطيع اكتشاف هذا فى كثير من شعر نزار . ذلك أنه يخدع القارئ بهذه التقسمة الحديثة ولكنها فى الواقع قصيدة تقليدية .. من حيث عدد التفعيلات فى البيت الواحد .

ومع أنه يخرج أحياناً منساقاً وراء التشكيل الحدائى فى الشعر . ومن حيث توزع القافية على غير نظام تفعيلى إلا أنه يعود أحياناً كثيرة ليرتد إلى التقسمة التقليدية فى تردد القافية برقابة عددية لا تتغير . إلا أنه يحرص على توافقات العدد المتردد بين كل قافية أخرى . كما أنه يحرص على ألا تتباعد القوافى كثيراً فى الشعر الحدائى المعتمد على وحدة التفعيلة المتكررة بغير نظام . ولأنه يفعل ذلك فإن "التدوير" لا يبدو شاذاً فى شعره على عكس ما نراه موظفاً فى بعض ما يسمى بالشعر المعاصر .

* * *